العنوان:	الشعر العربي الأندلسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري
المصدر:	أعمال الندوة التكريمية التذكرية للعلامة محمد بن تاويت الطنجي
الناشر:	مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة
المؤلف الرئيسي:	صلاحية، أحمد عبدالقادر
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1997
مكان انعقاد المؤتمر:	طنجة
الهيئة المسؤولة:	مدرسة الملك فهد العليا للترجمة
الشهر:	مايو
الصفحات:	143 - 170
رقم MD:	582322
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الشعر العربي الأندلسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/582322

الشعر العربي الأندلسي
حتى نهاية القرن الثالث الهجري

أحمد عبد القادر صلاحية*

1 - المرحلة المشرقية (93-200 هـ)

أ - عصر الولاة

بدأت حياة الشعر العربي في الأندلس مع بداية الوجود العربي في ذلك الصقع البعيد بعد جواز طارق بن زياد وجيشه البحر إلى شبه الجزيرة الإيبيرية وبداية الفتح الذي أتمه بمساعدة موسى بن نصير وبعد إنهاء شطر كبير منه عاد موسى بن نصير إلى المشرق ونصّب ابنه عبد العزيز أول وال على الأندلس. وبذلك أصبحت الأندلس ولاية عربية تابعة للخلافة الأموية في المشرق ومن ثم صار الولاة يُنصبون من قبل الخليفة في دمشق مباشرة أو أحد ولاته في إفريقية والمغرب حتى

* أستاذ بكلية الآداب - الجامعة السورية

عام 138 هـ[1]. و«دام عصر الولاة في بلاد الأندلس أربعين سنة تولىّ خلالها إمارة الأندلس عشرون والياً أي بمعدل سنتين في المتوسط لكل وال، وهو رقم يدل على اضطراب هذه الفترة وعدم استقرارها»[2].

من الطبيعي أن يتأثر الأدب بأوضاع الفتح وعدم الاستقرار وتسارع الأحداث والثورات البربرية في الأندلس والحروب الأهلية بين المضريين واليمنيين وبين البلديين[3] والشاميين[4] وأن يمنع كل ذلك من أن يتبوأ الشعر مركزه السامق اللائق به، ومن ثم فإن شعر هذه المرحلة أقل مستوى من نظيره وصنوه المشرقي لأنه شعر فتوح، وقد كان الأدب في مراحله الأولى مشرقياً وبالأحرى أموياً لا لشيء سوى أن أصحابه في المرحلة الأولى من الفتح كانوا مشرقيين قدموا مع الفتوح أو من الطارئين إلى الأندلس بعدها وأول أدب عرف على هذه الجزيرة هو ما نسب إلى طارق بن زياد من خطبة مشهورة وأبيات ثلاثة هي :

ركبنا سفيناً في المجاز[5] مقيّرا[6]

عسى أن يكون الله منا قد اشترى

نفوساً وأموالاً وأهلاً بجنة

إذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا[7]

---

1 - ينظر في هذا المجال : - ابن عبد الحكم - «فتوح إفريقية والأندلس»، ابن الكربدوس - «تاريخ الأندلس»، مجهول - «أخبار مجموعة»، و«دام عصرالولاة في بلاد الأندلس أربعين سنة تولى خلالها إمارة الأندلس عشرون والياً أي بمعدل سنتين في المتوسط لكل والٍ، وهو رقم يدل على اضطراب الفترة وعدم استقرارها» (ص 178). فيلالي - «المظاهر الكبرى في عصرالولاة».

2 - فيلالي - «المظاهر الكبرى في عصر الولاة» ص 178.

3 - البلديون : هم العرب الوافدون في أول الفتح مع طارق بن زياد وموسى بن نصير.

4 - الشاميون : هم العرب الوافدون في أواخر عصر الولاة مع بَلْج بن بشر من جند أهل الشام.

5 - المجاز : يقال جُزت الطريق جوازاً وجوزاً ومجازاً، والمقصود بحر الزقاق الذي يفصل الأندلس عن المغرب.

6 - مقيّر : مطليّ بالقار وهو الزفت أو ما يشبهه؛ تطلى به السفن ليمنع الماء أن يدخل.

7 - المقري - «نفح الطيب» 1\265.

ولم تبق لنا ذاكرة الأيام من شعراء هذا العصر القصير سوى شاعرين فارسين وافدين إلى الأندلس، أولهما : أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي[8] (ت 130هـ) الذي وفد إلى الأندلس والياً سنة 125هـ من قبل حنظلة بن صفوان ابن نوفل الكلبي والي إفريقية لهشام بن عبد الملك، ومن شعره الذي لم ينج منه سوى ثلاث مقطوعات :

فليت ابن حوّاس يخبر أنني

سعيت به سعي امرئ غير غافل

قتلت به تسعين تحسب أنهم

جذوع نخيل صرعت بالمسايل[9]

ولو كانت الموتى تباع اشتريته

بكفي وما استثنيت منها أناملي[10]

وثانيهما أبو الأجرب جَعْوَنة بن الصمّة الكلابي[11] (ت قبيل 138هـ) الملقب بعنترة الأندلس وقد باهى ابن حزم به «جريراً والفرزدق لكونه في عصرهما، ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الأوائل

---

8 أبو الخطّار (... – 130هـ = ... – 748م)
أمير الأندلس، كان حازماً شجاعاً فصيحاً شاعراً، كان فارس الناس بإفريقية ثم تولى إمارة الأندلس، فأقام بقرطبة، قاومه عبد الرحمن بن حبيب فكانت بينهما وقائع، وكان أعرابياً عصبياً أفرط في العصب لقومه من اليمانية وتحامل على المضرية فثار عليه الصميل بن حاتم وقاتله إلى أن قتله. الزركلي – «الأعلام» 2\175.

9 – المسايل : جمع مسيل الماء.

10 – الحميدي – «جذوة المقتبس» ص 200–201، ابن الأبار – «الحلة السيراء» 1\66.

11 – أبو الأجرب من قدماء شعراء الأندلس كان من البدو الطارئين على الأندلس فظل على حاله يرحل ويحل بأكناف قرطبة وقد كان فارساً شجاعاً حتى سمي بعنترة الأندلس، ذكر أن أبا نواس كان يعجب بشعره، توفي قبل قيام الدولة الأموية في الأندلس أي قبيل 138هـ ابن القوطية – «تاريخ افتتاح الأندلس» ص 42، الزبيدي – «طبقات النحويين واللغويين» ص 263، الحميدي – «الجذوة» ص 189 – ابن الحزم – «رسائله» 2\187 الضبي – بغية الملتمس» ص 261، ابن سعيد – «المغرب» 1\131، ابن الخطيب – «الإحاطة» 3\347، المقري – النفح» 3\177، 225، فروخ – «تاريخ الأدب العربي» 4\49، فحام – «مختارات من شعر الأندلس» ص 20، سزكين – «تاريخ التراث العربي» 5\38.

لا على طريقة المحدثين»[12]، ولم ينج من شعره - كذلك - سوى ثلاث مقطوعات تثبت ذلك، يقول في المديح :

بنى لك حاتم بيتاً رفيعاً
رأيناه على عمـــد طـــوال
وقد كان ابتنى شمر وعمرو
بيوتاً غير ضاحية[13] الظلال
فأنت ابن الأكارم من معدّ
بمعتلج[14] الأباطح[15] والرمال[16]

فهذا النزر اليسير المتبقي من شعر هذه المرحلة يثبت أن الطابع العام للشعر مشرقي أموي عربي أعرابي في موضوعاته وألفاظه ومعانيه وأخيلته، ولكنه ليس مستورداً ولا دخيلاً ولا مستجلباً إذ دخل الشعراء العرب الأندلس ودخلت طريقتهم طريقة العرب القدامى في الشعر معهم بشكل طبيعي، وبها عبروا عن حياتهم قبل أن تتأثر بالمؤثرات البيئية المختلفة وتتخذ لوناً أندلسياً مميزاً، لذلك فإني لا أعد صحيحاً مقولة تقليد الأدب الأندلسي للأدب المشرقي خاصة، فالأدب الأندلسي أدب عربي وفرع غزير من نهر الأدب العربي الدائم الجريان، ولا شك بأن مياه فروع الأنهار تكاد تكون واحدة، تتمايز قليلاً أو كثيراً بالبيئة الطبيعية التي تخترقها، وقد تتشابه البيئتان الطبيعيتان فيبدو الفرعان متشابهين أيضاً لذلك فإن نهر الشعر الأندلسي في هذه المرحلة لم يتأثر بالبيئة الجديدية فظل مشابهاً لأصله الذي تفرع عنه. وكما ذكرت في مكان آخر، فإن التكوين الثقافي للأدباء والعلماء

---

12 - ابن حزم - «رسائله» 2\187، المقري 3\177.

13 - ضحي الظل : صار شمساً.

14 - اعتلج : اضطرب ودخل بعضه في بعضه في بعض والعالج ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض.

15 - الأباطح : جمع أبطح : مسيل واسع فيه حصى الوادي اللين وترابه مما جرفته السيول.

16 - ابن الخطيب - «الإحاطة» 3\347، وانظر كذلك ابن سعيد - «المغرب» 1\132.

الأندلسيين تكوين عربي أصيل بشكل عام «فهم عندما يستمدون من القرآن والحديث النبوي الشريف [علوم اللغة العربية فإنهم] يستفيدون استفادة عربية بمعنى أنه لا يمكننا أن نعدها استفادة مشرقية أو مغربية فهذا تراث عام للجميع ولكن الأمر يختلف إذا استفادوا من شاعر معين أو من سلالة من الصور الكثيرة والأساليب الكبيرة التي كانت ترد في الشعر المشرقي، فهذا يعد من باب الأخذ أو الاستعارة أو ما يسمى السرقة»[17]

ب - تأسيس الإمارة وتوطيدها

يبدأ منذ تسنُّم عبد الرحمن الداخل الحكم عام (138هـ) بحنكته وذكائه وإقامة إمارة أندلسية منفصلة عن المشرق العربي والدولة العباسية، عاصمتها ودار حكمها قرطبة، وينتهي بنهاية حكم الربضي[18] (ت 206هـ) سوغ هذا التقسيم عدم وجود سمات أندلسية فيما بقي من شعر هذا العصر الذي كان غير مستقر؛ داخلياً : حيث الصراع العربي على الحكم ومحاولة أبي جعفر المنصور إثارة الفتنة في الأندلس لاسترداد حكمها، وفتنة الربض والثورات البربرية، وخارجياً : حيث الحروب مع الإسبان في بعض المناطق الشمالية التي لم تطأها سنابك الخيل العربية فيما وراء جبال البرانس.

أما أصحاب الشعر في هذه المرحلة فكانوا على قسمين، قسم من الوافدين إلى الأندلس حديثاً وقسم من أبناء الجيل السابق ولدوا في الأندلس، وهؤلاء جميعاً تثقفوا بثقافة المشرق العربية القديمة واستقوا منها معارفهم الأصيلة التي أحضرها معهم الفاتحون والمرتحلون إلى الأندلس، واستمرت في الرحلات العلمية التي غدت جسراً متصلاً

---

17 - مجلة «الكفاح العربي» سنة 1994 - عدد 822 ص. 45.

18 - الحَكَم الرَّبَضي : (154 - 206هـ = 771 - 822م).

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الأموي أبو العاص : من أفحل ملوك بني أمية بالأندلس وأول من جعل للملك فيها أبهة وأول من جند بها الأجناد وجمع الأسلحة والعدد وارتبط الخيول على بابه وهو الذي مهد لعقبه في تلك البلاد كان يباشر الأمور بنفسه شديداً جبّاراً ضابطاً لأمر الداخلية وحارب الفرنج في الثغور فاستقر له الأمر إلى أن توفي بقرطبة، وكان خطيباً مهتماً بالأدب والعلم وله شعر. الزركلي - «الأعلام» 2\267 -268.

أساسياً دائماً تنقل بواسطته الثقافة العربية من المشرق إلى الأندلس ففي هذا القرن بدأت الرحلات العلمية وقد تكون أسبق من ذلك الوقت لكونها مرافقة في الأغلب رحلة الحج المفروضة على المستطيعين من المسلمين كافة. ومن المرتحلين من الأندلسيين إلى المشرق : جودي بن عثمان النحوي (ت 198هـ) ومحمد بن بشيرالمعافري (198هـ) والغازي بن قيس (ت 199هـ) وفي الجهة المقابلة وفد إلى الأندلس جماعة من العلماء المشرقيين مثل معاوية بن صالح القاضي (ت 158 - أو - 168هـ)، وحبيب بن الوليد المعروف بحدون (ت بعد المئتين).

إذاً فقد كانت المؤثرات الثقافية المشرقية هي الوحيدة في هذه المرحلة، فكان الولاء للمشرق والتلقي عنه؛ فمن البديهي أن يكون شعر هذه المرحلة ليس له أية سمات أندلسية مميزة، ولولا قوله في الأندلس لعد مشرقياً أموياً «وكثير من شعراء القرن الثاني لا يمكن اعتبارهم أندلسيين حقيقة لأنهم في الواقع من العرب الطارئين على الأندلس فهم يمثلون الثقافة المشرقية والروح الشعرية المشرقية التي لم يظهر فيها التأثير الأندلسي بعد»[19] ومن أصحاب الشعر الطارئين على الأندلس الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل صقر قريس (ت 172هـ) فقد كان شاعراً مجيداً غير أنه لم يبق من شعره سوى نزر من المقطوعات منها قوله :

لا يلف ممتنٌ علينا قائل
لولاي ما ملك الأنام الداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا
ومقادر بلغت وحال حائل
إن الملوك مع الزمان كواكب
نجم يطالعنا ونجم أفل
والحزم كل الحزم ألا يغفلوا
أيروم تدبير البرية غافل

19 - الأوسي : «فصول في الشعر الأندلسي» ص 92.

ويقول قوم سعده لا عقله

خير السعادة ما حماها العاقل

أبني أمية قد جبرنا صدعكم

بالغرب رغماً والسعود قبائل

ما دام من نسلي إمام قائم

فالملك فيكم ثابت متواصل[20]

وكذلك أبو المخشيّ عاصم بن زيد التميمي[21] (ت نهاية القرن الثاني الهجري) وقد اشتهرت له مقطوعة يصف فيها سمل عينيه يقول فيها :

خضعت أم بناتي للعدا

إذ قضى الله بأمر فمضى

ورأت أعمى ضريراً إنما

مشيه في الأرض لمس بالعصا

فبكت وجداً وقالت قولة

وهي حرّى[22] بلغت مني المدى

ففؤادي قرح من قولها

ما من الأدواء داء كالعمى

وإذا نال العمى ذا بصر

---

20 – المقّري – «نفح الطيب» 3\42–43.

21 – أبو المخشيّ من قدماء الشعراء الطارئين على الأندلس نشأ في الأندلس واشتهر بالشعر ولاسيما المديح والهجاء وصار شاعر الأندلس زمن الداخل انقطع إلى سليمان بن عبد الرحمن فاغتاظ أخوه هشام وكان أحول وظن أنه يعرّض به فأمر بسمل عينيه توفي أيام الحكم بن هشام (180–206هـ) قال الحميدي عنه إنه «شاعر أعرابي مشهور قديم ... قديم الحوك والصنعة عربي الدار والنشأة وإنما تردد بالأندلس غريباً طارئاً وهو من فحول الشعراء المتقدمين». ابن القوطية – «تاريخ افتتاح الأندلس» ص 56–57، الزبيدي – «طبقات النحويين واللغويين» ص 263، الحميدي – «الجذوة» ص 401، ابن حزم – «رسائله» 2\48، الضبي – «بغية الملتمس» ص 528، ابن سعيد – «المغرب» 2\ 123، ابن عبد الملك المراكشي – «الذيل والتكملة» 5\102، المقري «النفح» 4\167، فروخ – «تاريخ الأدب العربي» 4\87، فحام – «مختارات من شعر الأندلس» ص 41، سزكين – «تاريخ التراث العربي» 5\38.

22 – حرّى : عطشى ملتهبة.

كان حياً مثل ميت قد ثوى

وكأن الناعم المسرور لم

يك مسروراً إذا لاقى الردى

أبصرت مستبدلاً من طرفه

قائداً يسعى به حيث سعى

بالعصا إن لم يقده قائد

وسؤالَ الناس يمشي إن مشى

وإذا ركب دنوا كان لهم

هوجلاً[23] في المهمه[24] الخرق[25] الصُّوى[26]

لم يزل في كل مخشي السرى

يصطلي الحرب ويجتاب[27] الدجى[28]

ومن الشعراء الذين ولدوا في الأندلس من أبناء أولئك الوافدين الأمير الحكم الربضي (ت 206هـ) حفيد عبد الرحمن الداخل يقول :

غناء صليل البيض[29] أشهى إلى الأذن

من اللحن في الأوتار واللهو والردن[30]

إذا اختلفت زرق الأسنة والقنا

أرتك نجوماً يطّلعن من الطعن

بها يهتدي الساري وتنكشف الدجى

وتستشعر الدنيا لباساً من الأمن

---

23 - الهوجل : الدليل الحاذق.

24 - المهمه : البلد القفر أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس.

25 - الخرق : القفر البعيد أو الفلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح.

26 - الصُّوى : ما غلظ من الأرض وارتفع عنها ولم يبلغ أن يكون جبلاً.

27 - يجتاب الظلمة : يدخل فيها.

28 - ابن الخطيب - «الإحاطة» 4\233.

29 - صليل البيض : صوت حديد السيوف عند القراع.

30 - الرُّدْن : مخففة من الرُّدَن وهو أحد أنواع الحرير والمقصود : اللهو والعبث.

شققت غمار الموت تخطئ مهجتي

سهام ردى قبلي أصابت ذوي الجبن

إذا لفحت ريح الظهائر لم تكن

لفاعي[31] فيها غير فيء القنا اللدن

وإن لم يجد حصناً سوى الفر مُقدم

فماليَ غيرالسيف والرمح من حصن

قذفت بهم من فوق يهماء[32] فارتوت

له الأرض واستولى على السهل والحزن

فسار يرويّ كل صديان حائم

وسح[33] كما سحت عزال[34] من المزن

وإن عنّ للتيار من سيلانه

ذرى شاهق أضحى كمنتفش العهن[35]

هنأت[36] به جرباً تقشّع بحرُها

بحمل هناء ليس يصلح للبدن[37]

ومن الشعراء في هذا العصر الأمير هشام[38] بن عبد الرحمن

---

31 – اللُفاع : الكساء الغليظ والرداء يجلل الجسد كله.

32 – يهماء : فلاة لا كلأ فيها ولا ماء.

33 – سحّ المطر : سال من فوق واشتد انصبابه ودام هطله.

34 – المزنة العزال : السحابة التي تنهمر بشدة والعزلاء : مصب الماء من أسفل القربة ويشبه بانصبابه اندفاق المطر.

35 – العهن : الصوف، وفيه اقتباس من الآية القرآنية الكريمة (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) سوة «القارعة» : 5.

36 – هنأ : طلا بالهناء وهو القطران تدهن به الإبل الجرب لتشفى.

37 – ابن الأبار : «الحلة السيراء» 1\49.

38 – هو أبو الوليد، ثاني ملوك الدولة الأموية بالأندلس ولد بقرطبة وولاه أبوه ماردة، وبويع بعد وفاة أبيه (سنة 172هـ) فحسنت سياسته وكان حازماً شجاعاً شديداً على الأعداء راغباً في الفتح موفقاً عادلاً بنى مساجد عدة وأكمل بناء مسجد قرطبة وتوفي بها – 180هـ الزركلي – «الأعلام» 8\86.

الداخل (ت 180هـ)، وعبد الملك بن بشر[39]، وعبد الكريم بن عبد الواحد[40] (ت 209هـ)، وبكر بن عيسى الكناني[41]، وغربيب بن عبد الله الطليطلي وابن هبيرة[42] وإبراهيم بن محمد الأودي[43]، وقد اندثر أكثر شعر هذه المرحلة ولم يسلم لنا من أشعار القرن الثاني سوى نماذج قليلة[44] تثبت سماته المشرقية الأموية في حماسته ومتانته وخشونته وبدويته وقلة اهتمامه بالصور الفنية فهو شطر ثان للشعر الأموي وامتداد له في تلك البقاع القاصية.

---

39 – عبد الملك بن بشر– شاعر طارئ على الأندلس، قتل أبو جعفر المنصور أباه فنجا بنفسه وقصد الأندلس ودخلها في صدر إمارة عبد الرحمن الداخل فقربه الداخل وكان يشاوره وجعله عاملاً له على مدينة يابرة، روى له ابن الأبار شيئاً من الشعر. ابن حيان – «المقتبس» 5\255 ابن سعيد – «المغرب» 1\60، ابن الأبار – «الحلة السيراء» 1\58، فروخ – «تاريخ الأدب العربي» 4\65.

40 – عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الحاجب، أبو حفص؛ أديب شاعر وزير قائد من أكابر رجال الدولة المروانية كان من العقل وحسن الرأي بمكان كبير، ولاه هشام الرضا كورة جيان وأغزاه ألبة والقلاع وجرت على يديه فتوح جسام ثم صار قائداً من قواد الحكم الربضي واستوزره وولاه الحجابة واستحجبه أيضاً عبد الرحمن الأوسط مع بقائه على القيادة وتوفي في طريقه إلى فتح جليقية سنة 209هـ، لم أجد له سوى مقطوعة يتيمة. ابن حيان – «المقتبس» (تح مكي) ص 25–27–30–31–39–77–444، ابن القوطية – «تاريخ افتتاح الأندلس» ص 64–78–89– الخشني – «قضاة قرطبة» ص 64، ابن سعيد – «المغرب» 1\40–44–50، ابن عذاري – «البيان المغرب» 2\64–65–69–75–80–82– ابن لأبار – «الحلة السيراء» 1\135، ابن الخطيب – «أعمال الأعلام» ص 12–19، «الإحاطة» 1\480، المقري – «النفح» 1\338–344.

41 – بكر بن عيسى الكناني – شاعر مجيد من أهل قرطبة عاش إلى أيام الحكم الربضي (180–206) وكان مضرب المثل في الفصاحة حتى قيل أفصح من بكر الكناني وكان من أهل العلم باللغة والبصر بالشعر وذكر أن أبا نواس استنشد بعض شعره. الزبيدي – «طبقات النحويين واللغويين» ص 261، ابن سعيد – «المغرب» 1\114، المقري – «النفح» 2\262، عباس – «فهرس التشبيهات» ص 300، سزكين – «تاريخ التراث العربي» 5\38.

42 – بن هبيرة : شاعر أندلسي قديم، كان بينه وبين أبي المخشيّ هجاء مقذع لم يبق من شعره سوى بيت واحد. ابن سعيد – «المغرب 2\124، فروخ – تاريخ الأدب العربي» 4\87.

43 – إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مَزْين الأودي من الشعراء المولدين أصل سلفه من أكشُونُبَة، سكن قرطبة وكان يتعاقب مع الحجاب وجلة الوزراء والقواد في أيام الحكم الربضي ثم ولاه إمارة طليطلة أعواماً متصلة أورد له ابن الأبار شيئاً من الغزل الرقيق. ابن الأبار – «الحلة السيراء» 1\88، فروخ – «تاريخ الأدب العربي» 4\65.

44 – ثمة شعراء آخرون في هذا القرن لم يصل إلينا إلا أسماؤهم أو شيء نذر جداً من أخبارهم وأشعارهم انظر : الأوسي – «فصول في الشعر الأندلسي» ص 114–115.

2 - المرحلة المترجحة بين القديم والحديث المشرقيين وملامح أندلسية (200-300 هـ)

تبدأ بتسليم الأمير عبد الرحمن بن الحكم[45] مقاليد الإمارة وتنتهي بانقضاء مدة حكم حفيده عبد الله بن محمد[46]، وهي مرحلة يتسم أولها بالاستقرار ثم ينقلب إلى الاضطراب حتى انتهاء الإمارة إذ يتصف عهد الأول بالازدهار الحضاري والرخاء والترف لتدفق الثروات، والاستقرار النسبي مع وجود بعض الثورات والفتن الداخلية والحروب الخارجية وأخطرها غزو النورمانديين للشواطئ الغربية ولم تفتأ هذه الفتن وتلك الحروب تشتعل في سائر مرحلة الإمارة ولاسيما فتنة عمر بن حفصون وانفصال بعض الأقاليم حتى فت من عضد الدولة الأموية وكادت شمسها تغيب[47].

لقد تطورت المؤثرات الثقافية المشرقية في هذه المرحلة إذ أُدخلت إلى الأندلس طريقة المحدثين إلى جانب طريقة العرب القدامى التي كانت لديهم، والحق أن لكل من الطريقتين ظواهر ساعدت على انتشارها وتوسعها، ومظاهر تبدت فيها؛ فمن ظواهر المنهج القديم الذي دخل تلقائياً مع العرب الفاتحين استمرار الرحلات العلمية إلى المشرق والأخذ عن العلماء المشرقيين القدامى واتصال رواية الشعر القديم واهتمام علماء النحو واللغة به لكونه شواهد يحتج بها ومن أهم من

---

45 - أبو المطرف (176-238هـ = 792-852م) رابع ملوك بني أمية في الأندلس ولد في طليطلة وبويع في قرطبة سنة 206 بعد وفاة أبيه بيوم واحد، اهتم بأمور البلاد الداخلية والخارجية فصارت الأندلس في رخاء وهناء وكان أديباً مطلعاً على علوم الشريعة وبعض الفلسفة، احتجب قبل موته مدة ثلاث سنوات لعلة أضعفت قواه وتوفي بقرطبة. الزركلي - «الأعلام» 3\305.

46 - عبد الله بن محمد (229-300هـ = 843-912م) من ملوك بني أمية في الأندلس تولى الحكم سنة 275 وكثرت الثورات في أيامه وكان مقتصداً كارهاً للسرف كثير الصدقات والمبرات ورعاً مفتناً في العلوم بصيراً بلغات العرب فصيحاً يقول الشعر ويرويه وكان يقعد للناس ويتسلم تظلمهم ويعد من أصلح الأمويين في المغرب وأمثلهم طريقة وأتمهم معرفة. خصه ابن حيان بجزء من تاريخه المقتبس، توفي بقرطبة. الزركلي - «الأعلام» 4\119.

47 - انظر عتيق - «الأدب العربي في الأندلس» ص 56.

أدخل دواوين الشعراء القدامى وشروحها : محمد بن عبد الله الغازي (ت 269هـ) «وعنه روى المشايخ الأشعار المشروحات كلها»[48]، وكذلك محمد بن عبد السلام الخشني (ت 286هـ) زيادة على هذا استمرار طرائق التعليم ووجود المشيخات وتوارثها جيلاً بعد جيل وحرص العلماء على التلقب بمثل هذا اللقب الجليل[49].

من مظاهر المنهج القديم في التأليف : الاتجاه نحو تصنيف أخبار المشرقيين وأشعارهم ككتاب العقد لابن عبد ربه، وشروح الكتب المشرقية القديمة.

ومن مظاهره في الشعر طغيان الخصائص المشرقية القديمة واصطباغ شطر من الأساليب والمعاني والأخيلة بالصبغة البدوية، ومن أمثلة ذلك قول عباس بن ناصح (ت 238هـ) :

تململت في وادي الحجارة[50] مسهراً
زراعي نجوماً ما يردن تغوّرا
إليك أبا العاصي نضيت[51] مطيتي
تسير بهمّ سارياً[52] ومهجّرا[53]
تدارك نساء العالمين بنصرة
فإنك أحرى أن تغيث وتنصرا[54]

وكذلك قول مؤمن بنسعيد (ت 267هـ) :

48 - الزبيدي - «طبقات النحويين واللغويين» ص 267.

49 - انظر مؤنس - «شيوخ العصر في الأندلس».

50 - وادي الحجارة : مدينة تعرف بمدينة الفرج بالأندلس وهي بين الجوف والشرق من قرطبة، وهي مدينة حسنة كثيرة الأرزاق جامعة لأشتات المنافع الغلات ولها أسوار حصينة ومياه معينة وبغربيّها نهر صغير لها عليه بساتين وجنات وزراعات. ياقوت - «معجم البلدان» 5\343 الحميري - «الروض المعطار» ص 606.

51 - نضيت مطيتي : أهزلتها بالمسير.

52 - الساري : السائر بالليل.

53 - المهجر : السائر وقت الهجير في منتصف النهار.

54 - المقّري - «النفح» 1\343.

أنصار صدق لدين الله كلهم

مستبشر بفتوح منه مسرور

شوس[55] تراءت لهم في كل معترك

فيقدمون عذارى الجنة الحور

وقادهم من بني مروان نحوهم

إمام عدل به الإسلام منصور

محمد خير من يمشي على قدم

ومن إليه تناهى الجد والخير[56]

هو الإمام الذي لا البخل شيمته

ولا الفرار إذ التف المساعير[57]

أغر كالبدر ينجاب الظلام به

ويرجع الطرف[58] عنه وهو محسور[59]

وكذلك قول زعيم الثائرين على المولدين[60] سوّار بن حمدون[61] (ت 277هـ) :

صرم الغواني يا هنيد مودتي   إذا شاب مفرق لمتي[62] وقذالي[63]

---

55 – الشوس : الطوال جمع أشوس : من ينظر بمؤخر عينة نظرة غضب، وقد تحدد في الجرأة على القتال.

56 – الخِير : الكرم والشرف والأصل.

57 – المساعير : جمع مسعور : الحريص على الأكل والشرب وإن ملئ بطنه.

58 – اقتباس من الآية الكريمة (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) سورة «الملك : 67.

59 – ابن حيان – «المقتبس» (تح مكي) ص 302–303.

60 – المولدون : هم الذين اعتنقوا الإسلام من أهل الجزيرة الإيبيرية.

61 – «سوّار بن حمدون (... 277هـ = ... – 890م).

سوّار بن حمدون بن يحيى الإيبيري القيسي المحاربي : زعيم ثائر كان شجاعاً عارفاً بالأدب ثار في الأندلس بناحية البراجلة (من كورة إلبيرة) سنة 276هـ والتفت حوله بيوتات العرب لقتال من كان هناك من العجم والمولدين فاستفحل أمره واستولى على عدة حصون ولم تطل مدته، مات قتيلاً. له شعر جيد». الزركلي – «الأعلام» 3\144.

62 – اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن.

63 – القذال : جماع مؤخر الرأس.

وصددن عني يا هنيد وطالما

علقت حبال وصالهن حبالي[64]

ومن أهم شعراء المنهج القديم في هذه المرحلة - زيادة على من اختير لهم - عباس بن فرناس[65] (ت 274هـ) وسعيد بن جودي[66] (ت 284هـ)، وحسانة التميمية[67]، ومحمد بن عبد العزيز العتبي[68] (ت

64 - ابن الأبار - «الحلة السيراء» 1\154.

65 - عباس بن فرناس، أبو القاسم (... - 274هـ = ... - 887م)
مخترع أندلسي من أهل قرطبة من موالي بني أمية وبيته في برابر (تاكرنا) عاش في عصري الأميرين عبد الرحمن الأوسط وابنه محمد وكان فيلسوفاً شاعراً له علم بالفلك واتهم في عقيدته وهو أول من استنبط في الأندلس صناعة الزجاج من الحجارة وصنع الميقاتة لمعرفة الأوقات وأول طيار اخترق الجو. الزركلي - «الأعلام» 3\264.

66 - «ابن جودي (... - 284هـ = ... - 897م)
سعيد بن سليمان بن جودي بن إسباط بن إدريس السعدي من هوازن أبو عثمان، أمير ثائر في الأندلس، يعد من الأدباء الملوك كان شجاعاً بطلاً جواداً خطيبا شاعراً ترأس القيسية بعد قتل سوار بن حمدون (سنة 277 هـ) واستولى على حاضرة إلبيرة فأقطعه الأمير عبد الله بن محمد كورتها وقتله بعض أصحابه غيلة ...» - الزركلي - الأعلام 3\95. وقد جمعت ما تبقى من شعره.

67 - حسانة بنت أبي المخشي، أديبة شاعرة تأدبت على أبيها الشاعر الذي مات أيام الحكم الربضي فوفدت على الحكم ومدحته مسترفدة فكتب إلى عامله على إلبيرة بأن يجري عليها راتباً ويحسن إليها، ولما جاء عبد الرحمن بن الحكم كان العامل عى إلبيرة جابر بن لبيد فقطع الراتب فأتت إلى عبد الرحمن تشكو إليه جابراً فعزله ورد عليها ما كان جارياً أيام أبيه فلما انصرفت بعثت إليه بقصيدة مدح. المقري 3\167-168، فحام - «مختارات من شعر الأندلس» ص 62، فروخ - «تاريخ الأدب العربي» 4\97، سزكين - «تاريخ التراث العربي» 5\87.

68 - محمد بن عبد العزيز العتبي؛ من نبهاء شعراء دولة الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273 هـ) عاش في قرطبة وكان منقطعاً إلى الأمير القاسم بن محمد، وكان بينه وبين مؤمن بن سعيد مهاجاة توفي سنة 255هـ. ابن حيان - «المقتبس» (تح مكي) ص 157-158-201-202-203-206-207-210-211-323-324-336-359-360- الثعالبي - «اليتيمة» 2\29 - ابن الأبار - «الحلة السيراء» 1\128-130-147 - ابن سعيد - «المغرب» 1\134، ابن عذاري - «البيان المغرب» 2\112-113، عباس - «ملحق التشبيهات» ص 322، فروخ - «تاريخ الأدب العربي» 4\124 سزكين - «تاريخ التراث العربي» 5\45.

255هـ)، وأبو عثمان سعيد بن الفرج الرشاش[69] (ت 272هـ).

أما ظواهر المنهج المحدث فأهمها وصول دواوين بعض الشعراء المشرقيين المحدثين إلى الأندلس حاملة معها طرائق المحدثين في نظم الشعر التي تقابل طريقة العرب القدامى، وكان وصولها بطريقتين أولهما : وفود بعض العلماء المشرقيين كأبي اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني الذي روى شعر أبي تمام[70] وثانيهما : الرحلات العلمية إلى المشرق التي صارت تزود الأندلسيين بأشعار المحدثين وأخبارهم فقد رحل الشاعر مؤمن بن سعيد (ت 267هـ) إلى المشرق وأدخل ديوان أبي تمام[71]، وأدخل هذا الديوان المهم أيضاً عثمان بن المثنى النحوي (ت 273 هـ)[72].

وزيادة على أن تلك الرحلات كانت تمد الأندلس بروافد ثقافية فإن بعضها قد خصص للقاء كبار الشعراء المشرقيين المحدثين، فعباس بن ناصح الأديب الشاعر النحوي الأندلسي رحل رحلتين إلى المشرق كانت الأولى للتحصيل العلمي، وبعد عودته واستقراره في الأندلس ظل يسأل الوافدين إليها عمن نبغ في المشرق من الشعراء بعد ابن هرمة، وعندما سمع بنبوغ أبي نواس رحل إلى المشرق رحلة ثانية والتقاه وأقام عنده سنة. ومع أن هذا الشاعر كان ممن ينظم الشعر على الأسلوب القديم فإن أبا نواس قال في شعره : «هذا شعر الغرب»[73] لاكتشافه بحسه المرهف

---

69 – سعيد بن الفرج الرشاش القرطبي، أبو عثمان، أديب شاعر عالم بالشعر واللغة، راوية يحفظ – فيما يزعم – 4000 أرجوزة، كان غاية في الفصاحة حتى ضرب المثل فيه فقيل أفصح من الرشاش، لحقته سعاية فارتحل إلى المشرق فحج ووصل إلى بغداد وعاش زمناً في مصر والقيروان ثم عاد وصار من شعراء المديح لعبد الرحمن الثاني وكان بينه وبين ابن الشمر مهاجاة توفي سنة 272هـ. ابن حيان – «المقتبس» ص 189، ابن الفرضي – «تاريخ علماء الأندلس» 1\ 196، الزبيدي – «طبقات النحويين واللغويين» 261 – ابن سعيد – «المغرب» 1\ 114، عباس – «ملحق التشبيهات» ص 306، سزكين – «تاريخ التراث العربي» 5\42.

70 – المقري – «النفح» 3\134-135.

71 – ابن سعيد – «المغرب» 1\132.

72 – الزبيدي – «طبقات النحويين» ص 266.

73 – المصدر نفسه ص 263.

الدقيق آثار البيئات المختلفة فيه، وبعد عودة عباس إلى الأندلس روى ديوان أبي نواس.

ولا شك بأن بعض العلماء والمؤدبين قد عكفوا على شرح بعض هذه الدواوين المهمة لطلابهم ورواياتها كعادتهم. ومما ساعد على نشر هذا المذهب في الأندلس الاستقرار النسبي في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم والميل إلى الترف ومجالس اللهو والغناء والشراب، وقدوم المغني زرياب وما أشاعه من أفانين وضروب حضارية بالإضافة إلى التأثر بالبيئة الطبيعية الجميلة التي نزلها العرب في بعض بقاع الأندلس وإلى بدء التفاعل بالبيئة الاجتماعية الجديدة التي امتزجت فيها عناصر بشرية مختلفة كل ذلك أدى إلى قيام الاتجاه المشرقي المحدث في مواجهة الاتجاه المشرقي القديم الذي كان له الغلبة في هذا القرن، فقد كان تأثير الشعراء المشرقيين المحدثين في الشعراء الأندلسيين الذين ورثوا تقاليد طريقة العرب القدامى ينحو منحيين، إذ صدف عنها القسم الأكبر من الشعراء الأندلسيين، واستطرفها ثلة منهم ونهجوا نهجها حيناً، واتبعوا قديمهم حيناً آخر ومزجوا بينهما أحياناً أُخر فسايروا عصرهم من دون أن يتخلوا عن ميراثهم القديم «ومن طبيعة الشعر الأندلسي أيضاً - أن التيار الذي سمي طريقة العرب حين جاور مذهب المحدثين عايشه في هدوء وسار التياران متوازيين دون صراع حتى لتجدهما معاً في شعر الشاعر الواحد»[74] من مثل ابن عبد ربه (ت 328هـ)، ومؤمن بن سعيد (ت 267هـ)، وهاشم بن عبد العزيز[75] (ت 273هـ) فبينما يقول آخرعهم مفتخراً بجده وهزله :

أهوى معانقة الملا

ح وشرب أكواس الطِّلا[76]

---

74 - عباس - «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» ص 474.

75 - هاشم بن عبد العزيز، أبو خالد، وزير من أكابر رجالات الدولة المروانية في الأندلس كان خاصاً بالأمير محمد بن محمد بن عبد الرحمن يؤثره بالوزارة وولاه كورة جيان وعندما توفي الأمير وخلفه ابنه المنذر ولاه الحجابة مدة يسيرة، ثم نكبه لأشياء حقدها عليه في خلافة أبيه فحبسه وعذبه ثم قتله سنة 273هـ الزركلي - الأعلام 8\66.

76 - الطِّلا : الخمر.

ويسرني حسن الريا

ض وقد توشت بالحلى

وأذوب من طرب إذا

ما الصبح جرّد منصلا[77]

وأهيم في قود الجيو

ش ونيل أسباب العلا

وأهز مرتاحاً إذا

سرتِ المواضي في الطُّلى[78]

قل للذي يبغي مكا

ني : هكذا أو – لا – فلا[79]

إذا بنا نجده يقول في سجنه :

وإني عداني أن أزورك مطبق[80]

وباب منيع بالحديد مضبب[81]

فإن تعجبي – يا عاج – مما أصابني

ففي ريب هذا الدهر ما يتعجب

وفي النفس أشياءٌ أبيت بغمها

كأني على جمر الغضى[82] أتقلب

تركت رشاد الأمر إذ كنت قادراً

عليه فلاقيت الذي كنت أرهب

وكم قائل قال : انج – ويحك – سالماً   ففي الأرض عنهم مستراد[83] ومذهب

---

77 – المُنْصَلُ : اسم للسيف.

78 – الطُّلى : الأعناق أو أصولها أو صفحاتها.

79 – ابن سعيد – «المغرب» 2\94-95.

80 – المطبِق : سجن تحت الأرض.

81 – مضبب : ملبّس بالحديد.

82 – الغضى : نوع من الشجر يستعمل خشبه في الوقود.

83 – مستراد : إقبال وإدبار.

فقلت له : إن الفرار مذلة

ونفسي على الأسواء أحلى وأطيب

سأرضى بحكم الله فيما ينوبني

وما من قضاء الله للمرء مهرب

فمن يك مسروراً بحالي فإنه

سينهل في كاسي -وشيكاً- ويشرب[84]

من مظاهر المنهج المحدث : الاهتمام بموضوعات حضارية طارئة والاعتماد على المصدر الطبيعي أكثر من المصدر الثقافي، والبعد عن الصور البدوية والألفاظ الخشنة، والميل إلى السهولة والعذوبة والسخرية، ومن أمثلة ذلك قول أشهر مجددي هذا العصر يحيى بن الحكم الغزال :

لقد سمعتُ عجيباً

من أبدات[85] يخامر[86]

قرا عليه غلام

طه وسورة غافر

فقال : من قال هذا

هذا لعمريَ شاعر

أردت صفع قفاه

فخفت صولة جائر

أتيت يوماً بتيس

مستعبراً متحاسر

84 – ابن الأبار – «الحلة السيراء» 1\140-141.

85 – الأبدات : جمع أبدة؛ وهي الأمر العجيب المستغرب والداهية يبقى ذكرها أبداً.

86 – يخامر : هو القاضي المهجور يخامر بن عثمان الشعباني ولي القضاء في حكم الأمير عبد الرحمن الأوسط.

فقلت : قوموا اذبحوه

فقال إني يخامر[87]

ومن ذلك قول أول أمراء هذه المرحلة عبد الرحمن الأوسط :

قتلتني بهواكا

وما أحب سواكا

من لي بسحر جفون

تديره عيناكا

وحورة في بياض

تكسى به وجنتاكا

اعطف علي قليلاً

وأحيني برضاكا

فقد قنعت وحسبي

بأن أرى من رآكا[88]

وكذلك قول آخر الأمراء الأمويين في الأندلس عبد الله بن محمد :

ويحي على شادن كحيل

في مثله يخلع العذار[89]

كأنما وجنتاه ورد

خالطه النَّور[90] والبَهار[91]

قضيب بان إذا تثنى

يدير طرفاً به احورار

---

87 – «ديوان الغزال» ص 71.

88 – ابن الأبار – «الحلة السيراء» 1\118.

89 – خلع العذار – كناية عن اللهو والانهماك في الغي.

90 – النَّور : الزهر أو الأبيض منه.

91 – البهار : نبت طيب الريح.

فصفو ودي عليه وقف   ما اطرد الليل والنهار[92]

وهؤلاء هم أعلام المنهج المحدث في هذه المرحلة، وقد يذكر معهم مخترع الموشحات مقدم بن معافى القبري[93] (ت 299هـ) بيد أن شعره لم يبق منه سوى مقطوعتين قصيرتين تقتربان من المنهج القديم أكثر.

لم يقتصر الأمر في الشعر الأندلسي على طريقتي العرب القدامى والمحدثين في الشعر بل أخذت تتشكل فيه بعض ملامح الأندلسية الخاصة التي تجلت في بداية ظهور مؤلفات مخصصة للأندلس ورجالها، ومن أول ما نعرف منها : كتاب في طبقات الكتّاب بالأندلس لعثمان بن ربيعة (ت 310هـ) ذكر المستشرق الإسباني بالنثيا أنه «لدنيا منه نسخة مخطوطة في فاس»[94]، وكتاب في شعراء الأندلس لحُرْقوص الكناني (ت نحو 320هـ)[95].

وقد شفت بعض ملامح الأندلسية الشعرية في الميل إلى لإبداع في الأخيلة والتأنق في عرض المعاني والجنوح إلى ترقيق الألفاظ، وفي بدايات ظهور وصف الطبيعة ومزجها بالغزل أو الاستفادة الكبيرة من عنصر الطبيعة في صنع الصور الفنية في سائر الأغراض وكذلك من المجوهرات؛ فمن اليل إلى إبداع الأخيلة والتأنق في عرض المعاني قول يحيى بن حكم الغزال :

قالت : أحبك، قلت : كاذبة

غرّي بذا من ليس ينتقد

هذا كلام لست أقبله   الشيخ ليس يحبه أحد

---

92 – ابن عذاري – «البيان المغرب» 2\154 وانظر بيضون – «الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس» ص 185.

93 – شاعر معروف مخترع الموشحات من شعراء الأمير عبد الله بن محمد حكيم بين (275 – 300 هـ) وعاش زمناً في حكم عبد الرحمن الناصر، كسدت موشحاته وضاعت لكونها بدعاً في عصره. الحميدي – «الجذوة» ص 355، الضبي – «البغية» ص 475، ابن سعيد – «المقتطف» ص 255، ابن الأبار – «الحلة» 1\156، «المقري» – «النفح» 3\38، 7\6، «أزهار الرياض» 2\207، عباس – «فهرس كتاب التشبيهات» ص 334، سزكين – «تاريخ التراث العربي» 5\48.

94 – بالنثيا – «تاريخ الفكر الأندلسي» ص. 285.

95 – بالنثيا – «تاريخ الفكر الأندلسي» ص 285–286، سزكين – «تاريخ التراث العربي» 5\29.

سيان قولكِ ذا وقولكِ إن

الريح نعقدها فتنعقد

أو أن تقولي : النار باردة

أو أن تقولي : الماء يتقد[96]

ومن رقة الألفاظ وسلاسة التراكيب قول الغزال أيضاً :

وسليمى ذات زهد

في زهيد من وصال

كلما قلت صليني

حاسبتني بالخيال

والكرى قد منعته

مقلتي أخرى الليالي

وهي أدرى فلماذا

دافعتني بمحال

أتراني أقتضيها

بَعْدُ شيئاً من نوال[97]

ومن أوليات المقطوعات في وصف الطبيعة قول عبد الرحمن الأوسط مستدعياً شاعره ونديمه عبد الله بن الشمّر[98] :

---

96 - «ديوان الغزال» ص. 62.

97 - المصدر نفسه ص. 100.

98 - أبو محمد عبد الله (أو عبد الرحمن) بن الشمر بن نمير القرطبي، أصله من وشقة، كان شاعراً من أهل العلم بالعربية ورئيساً للمنجمين وكان مقرباً لدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم قبل حكمه وبعده؛ يخرجه معه في صيده وغزواته. ابن عبد ربه - «العقد» 3\61-62-، 4\493، ابن القوطية - «تاريخ افتتاح الأندلس» ص 77 ابن حيان - «المقتبس» (مكي) ص 65-66-477، ابن الفرضي - «تاريخ علماء الأندلس» 1\268 ابن الأبار - «الحلة السيراء» 1\116-118، ابن سعيد - «المغرب» 1\47-50-51-124-127- ابن الخطيب- «إعلام الأعلام» ص 18 - «فروخ - تاريخ الأدب العربي» 4\102، عباس- «فهرس التشبيهات» ص 314-315، سزكين- «تاريخ التراث العربي» 5\41-42.

ما تراه في اصطباح[99]

وعقود القطر[100] تنثرْ

ونسيم الروض يختا

ل على مسك وعنبر

كلما حاول سبقاً

فهو في الريحان يعثر

لا تكن مهمالة واســ

بقْ فما في البطء تعذر[101]

ومن مزج الطبيعة بالغزل قول عباس بن فرناس (ت 284هـ) :

فبتنا وأنواع النعيم ابتذالنا

ولا غير عينيها وعيني كالي[102]

إلى أن بدا وجه الصباح كأنه

جبين فتاة لاح بين حجال[103] [104]

ومن الاستفادة من عنصر الطبيعة في صنع صور فنية معبرة عن الفكرة المرادة قول ابن عبد ربه الذي عاش في مفصل القرنين الثالث والرابع (264 - 328هـ) :

شبابي كيف صرت إلى نفاذ

وبدلت البياض من السواد

وما أبقى الحوادث منك إلا

كما أبقت من القمر الدآدي[105][106]

---

99 - الاصطباح : شرب الخمرة صباحاً.

100 - القطر : المطر.

101 - ابن سعيد - «المغرب» 1\50-51.

102 - كالي : مسهل من كالئ : حافظ حارس.

103 - الحجال : جمع حَجَلة : كالقُبة : موضع يزين بالثياب والستور للعروس.

104 - «ديوان ابن فارس» ص. 148-149.

105 - الدآدي : ثلاث ليال من آخر الشهر مثل ليالي المحاق، وقيل إنها هي.

106 - «ديوان ابن عبد ربه» : ص 55-56.

ومن الاهتمام بالجواهر والمعادن الثمينة قوله أيضاً :

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقاً
ورشاً بتقطيع القلوب رفيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله
دراً يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه
أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة
ما بال قلبك لا يكون رقيقا[107]

وكما ظهرت في أشعارهم ملامح الأندلسية فقد بزرت ملامح الإحساس بالأندلسية وتجلت شعوراً حماسياً وردٌ فعل على استعلاء بعض المشارقة عليهم وإزرائهم بهم وغمطهم حقوقهم وبخسهم أقدارهم مع كونهم فرعاً نضيراً من شجرة الحضارة الإسلامية، يقول صاحب كتاب المطرب عن الشاعر يحيى بن حكم الغزال : «فرحل إلى العراق، وذلك بعد موت الحسن بن هانئ بمدة يسيرة فوجدهم يلهجون بذكره، ولا يساوون شعر أحد بشعره فجلس يوماً مع جماعة منهم فأزروا بأهل الأندلس واستهجنوا أشعارهم فتركهم حتى وقعوا في ذكر الحسن فقال لهم من يحفظ منكم قوله :

ولما رأيت الشَّرْبَ[108] أكدت[109] سماؤهم
تأبطت زقي واحتسبت عنائي
فلما أتيت الخان ناديت ربه
فهب خفيف الروح نحو ندائي

107 - المصدر نفسه ص 120.
108 [illegible]
109 [illegible]

قليل هجوع العين إلا تعلة[110]

على وجل[111] مني ومن نظرائي

فقلت : أذقنيها فلما أذاقني

طرحت إليه ريْطتي[112] وردائي

وقلت : أعرني بذلة أستتر بها

بذلت له فيها طلاق نسائي

فوالله ما برّت يميني ولا وفت

له غير أني ضامن بوفائي

وأبت إلى صحبي ولم أك آيباً

فكلّ يفدّيني وحَقّ فدائي

فأعجبوا بالشعر وذهبوا من مدحهم له كل مذهب فلما أفرطوا قال لهم : خفّضوا[113] عليكم فإنه لي فأنكروا ذلك فأنشدهم قصيده الذي أوله :

تداركت في شرب النبيذ خطائي

وفارقت فيه شيمتي وحيائي

فلما أتم القصيد بالإنشاد خجلوا وافترقوا عنه»[114].

هذا المقبوس أحد الشواهد المهمة الدالة على عدم اعتراف المشارقة بالشعراء الأندلسيين زيادة على الإزراء بهم واستهجان أشعارهم لكونهم أندلسيين وحسب من غير وجه حق، مع جودة شعرهم ومنافسته للشعر المشرقي؛ فهم يثنون على ذلك الشعر لأنهم حسبوا أنه لأبي نواس ولما عرفوا أنه لشاعر أندلسي أبوا أن يقروا له بالفضل والإجادة وذهبوا معرّدين مقمورين، ومن جانب آخر فإن النص دليل مهم على باكورة استيحاء الشعراء الأندلسيين طرائق كبار الشعراء

110 [illegible]

111 – وجل : خوف.

112 – الرّيْطة : كل ثوب رقيق لين.

113 – خفضوا عليكم : هوّنوا أموركم.

114 – ابن دحية – «المطرب» ص 148-149.

المشرقيين المحدثين ومعارضة قصائدهم المهمة ومدى تمثلهم لأساليبهم حتى إن المشرقيين أنفسهم لم يستطيعوا أن يكتشفوا أن القصيدة ليست لشاعرهم المبجل لديهم.

وهذا الخبر الشديد الأهمية الواضح الدلالة على السبب الأهم لظهور الأندلسية ورد إلينا برواية أخرى مختلفة عن سياقها لفظاً متفقة معها مضموناً، رواها أبو نصر الحميدي (ت 488هـ) الحافظ المحدث الذي أجمع علماء المشرق والمغرب على إتقانه ونباهته وتيقظه يقول : «أخبرني بعض المشايخ بالأندلس أن سعيد بن أحمد بن خالد كان يحكي أنه لما رحل إلى المشرق لقيه بعض الأدباء بمصر واستنشده لأهل الأندلس فأنشده، ففضل بعض التفضيل؛ إلا أنه قال : لا تخفى أشعاركم إلى جانب أشعارنا كما لا يخفى البدر في سواد الليل، فقال له سعيد : صدقت وأين لأهل الأندلس بمثل قول الحسن بن هانئ، وأنشد أبيات يحيى بن الحكم الغزال الثلاثة وهي قوله من قصيدة طويلة يعارض بها الحسن :

وكنت إذا ما الشرب أكدت سماؤهم

تأبطت زقي واحتضنت عنائي

ولما أتيت الحان نبهت أهله

فهب خفيف الروح نحو ندائي

قليل هجوع الليل إلا تعلة

على وجل مني ومن نظرائي

فلما سمعها المصري طرب واهتز، وقال لله در الحسن، فلما أكثر قال له : الشعر - والله - ليحيى بن الحكم الأندلسي؛ وإنما أردت تجربة نقدك والنقض عليك، فرد ذلك وأنكره حتى صح ذلك عنده فخجل وأظهر التعجب ولم يراجع بعد في أشعار أهل الأندلس. قال : وكان كثيراً ما يستنشدني لهم»[115].

نقل أبو نصر الحميدي الحافظ هذا الخبر عن غير واحد كما تشي بذلك لفظة «بعض» مما يدل على انتشار الخبر وذيوعه، وهؤلاء الذين

115 - الحميدي - «الجذوة» ص 228-229.

ينقل عنهم هم مشايخ وهم المتحرزون في الإخبار متفقون على صحة الخبر الذي كان مصدره وأحد طرفيه سعيد بن أحمد بن خالد الذي وصفه الحميدي بأنه «من أهل العلم والأدب»[116] وأخبر عنه بأنه «له رحلة إلى المشرق»[117] وذكر ابن بشكوال أنه «ولد الرّاوية أحمد بن خالد التاجر، من أهل قرطبة يكنى أبا عثمان رحل مع أبيه إلى المشرق وسمع معه سماعاً كثيراً»[118]. ولم يذكر سعيد اسم الأديب المصري الذي كان يستنشده لشعراء الأندلس تأدباً وتورعاً منه لئلا (يأكل لحم أخيه ميتاً)، وفي الخبرين كليهما ما يستحق الوقوف المطول والتحليل العميق إلا أنه خارج مدار اهتمام الموضوع، وأهم ما في الخبر الثاني هو تشبيه المصري الأدب المشرقي بالبدر والأدب الأندلسي بالليل الحالك في قبالته مع أن بعض ما كان ينشده الراوية الأندلسي كان ينتزع إعجاب الأديب المصري فيثني عليه بعض الثناء وهذا التبعيض ناجم عن استعلاء بعض المشارقة وبأوهم.

إذاً فالسبب الرئيسي لظهور الأندلسية هو أن المشرق لا يكاد يرى سوى تفوقه، ويزري بما سواه بل لا يكاد المشارقة يتوهمون أن في الأندلس نهضة حضارية وعلمية وأدبية؛ من دلائل ذلك خبر عن علم بغدادي رحل إلى الأندلس ثم عاد إلى موطنه يقص غرائب ما شاهد، يقول الزبيدي : «حدثني محمد بن عمر، حدثني أبو هارون فقيه نكور قال قدم علي أبو جعفر أحمد ابن محمد بن هارون البغدادي عند دخوله الأندلس ثم قدم علي عند خروجه عنها، فقلت له : كيف تركت الأندلس فقال لي : والله لقد رأيت بها ما لم أتوهم أن أراه مع نأيِ دارها، لقد رأيت فقهاً وشعراً ونحويين وأدباء، ولقد رأيت رجلاً لو حدّثت أن في الأرض مثله ما صدّقت فبادرته، فقلت : أيوب بن سليمان، فقال لي : نعم، فقلت له : من أين نظرت إليه بهذه العين، فقال لي : نعم؛ الناس عندنا كل ذي فن منفرد بفنه، وهذا رجل يتكلم مع أهل الفنون كلهم في

---

116 – المصدر نفسه ص 228.

117 – المصدر نفسه ص. 228.

118 – ابن بشكوال – «الصلة» ص 213.

فنونهم»[119] ودام ذلك الرأي مدة طويلة[120]، واستمر شعور المشارقة بالتفوق زمناً طويلاً حتى لدى بعض المصنفين الذين جمعوا شيئاً من أخبار الأندلس وشعرائها كابن الصيرفي المصري (ت 542هـ) الذي يقول في مقدمة كتابة : «المختار من شعر شعراء الأندلس» : إن «الفضائل ليست مخصوصة ببعض الأمكنة ولا مقصورة على قديم الأزمنة، على أن الإقليم الرابع وإن كان أفضل من غيره فذلك لا يوجب سلب الفضيلة مما سواه ولا عدم الحسنة فيما عداه، فكل زمان لا يخلو من أفكار تستنبط وقرائح تولف وهذا لمن تأمله واضح، ولمن تدبره جلي. ولقد وقفت للعصريين من شعراء الأندلس على ما لا عذر في جحد إحسانه ولا حجة في ترك استحسانه فرأيت أن أعلق في هذا الجزء ما تيسر لي...»[121].

في أواخر القرن الثالث الهجري انبرى بعض العلماء الأندلسيين للدفاع عن أنفسهم مما نالها من حيف وجور، وذلك بوضع تآليف خاصة بالأندلس وأدبائها وفقهائها وملوكها وقد ذكرت بعضه فيما سلف، يقول د. إحسان عباس : «فلما تنبهت الأندلس إلى شخصيتها في المجال العلمي والأدبي كان النقد الأدبي دفاعاً عن هذه الشخصية ضد الظلم أو التجاهل أو الاتهام بأن الأندلس ليس فيها أدباء وشعراء»[122]. وكذلك فإن كتاب «العقد» لابن عبد ربه الذي جمع فيه أخبار المشارقة وأشعارهم مرصع بجواهر من شعره وشعر عدد قليل من الأندلسيين ليثبت إجادة الأندلس ممثلة به واقترابها من المشرق وعدم تقصيرها عنه شعراً ونثراً، وكان الاقتراب والتشبه بالمشرق في هذا القرن غاية بعيدة وخطوة أولى في تطور الإحساس بالأندلسية يقول ابن عبد ربه في مقدمة كتابة «العقد» : «وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها، وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته وبلدنا

---

119 – الزبيدي – «طبقات النحويين واللغويين» ص. 273.

120 – انظر خبراً مشابهاً لأبي علي القالي في القرن الرابع الهجري، المقري – «النفح» 3\154.

121 – ابن الصيرفي – «المختار من شعر شعراء الأندلس» ص. 15.

122 – عباس – «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» ص 473.

على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور»[123]. إن ابن عبد ربه يذكر المغرب وينسبه إلى أهله وكذلك البلد، ولكنه يطامن من فخره بوصفهما بالقصي والانقطاع وبالإخبار بأن لأهل الأندلس نصيباً - لم يحدده - من الشعر والنثر. ويطل مقياس الخيال مع إطلالة الأندلسية ويترافقان معاً إذ كان جلّ اختياره من شعره بمقياس الخيال والصورة الفنية[124].

وفي أواخر هذا القرن ظهر الموشح ومشى على استحياء - أول الأمر - على يد مقدم بن معافى القبري (ت 299 هـ) بيد أنه لم يصل إلينا شيء من موشحاته، وتميُّز الموشح واختلافه عن شكل الشعر العربي كان أول انفكاك حقيقي من إسار المشرقية وببزوغه ينتقل الأدب العربي في الأندلس إلى المرحلة الأندلسية الأولى.

---

123 - ابن عبد ربه - «العقد الفريد» 1\4.

124 - انظرمثلاً 5\400.